



التربية على قيم التدين الصحيح

من هدي رسول
الله صلى الله عليه
وسلم في التربية

ذ: عبد الله الهلالي¹

الحديث

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عَنْسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ تَبِعَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ^[2]، قَالَ: قُلْتُ وَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ قَالَ: قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ قَالَ: قُلْتُ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: خُلِقَ حَسَنٌ^[2]، قَالَ: فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: قُلْتُ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ، قَالَ: مَنْ أَهْرِيَقَ دَمَهُ وَعَقَرَ جَوَادُهُ، قَالَ: قُلْتُ أَيُّ السَّاعَاتِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

1-تقديم الحديث

الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والإمام الصنعاني، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، والإمام البيهقي في شعب الإيمان وابن ماجه، وابن عبد البر في التمهيد. كما أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ورجاله ثقات، وقد وثق الهيثمي رجال الحديث ومن بينهم شهر بن حوشب قائلًا: ثقة على ضعف فيه. كما علق العلامة شعيب الأرناؤوط على الحديث قائلًا: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والمأخذ الوحيد على الحديث: شبهة الانقطاع، فيحتمل أن يكون التابعي: أبو قلابة لم يلق الصحابي عمرو بن عبسة السلمي. وللحديث شواهد كثيرة من الصحاح والسنن. وقد ورد هذا الحديث بصيغ وروايات عديدة كلها تتصل بسيدنا عمرو بن عبسة السلمي. وسوف أقتصر على هذه الرواية التي بين أيدينا، وهي الرواية التي أدرجها الحافظ الهيثمي²، وإن كانت روايات أخرى فيها إضافات أخرى، وأسئلة أخرى لراوي الحديث.

¹مفتش في التوجيه التربوي وباحث في المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، abdoh14@yahoo.fr
²الحافظ نور الدين علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق سليم أسد الداراني، درا المأمون للتراث دمشق، الحديث رقم 211، الجزء الأول، ص 391

وهذا الحديث يمثل نموذجا رائعا من جوامع كلام رسول الله ﷺ، حيث جمع ﷺ فيه، وهو يعلم الأمة عن طريق هذا الصحابي بين مفهوم العبادات ومفهوم القيم والأخلاق والمعاملات، مصداقا لقوله ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"³

2- آيات قرآنية وأحاديث نبوية تعضد هذا الحديث

1.2 آيات قرآنية

* «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون» سورة الأنفال

* «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون» سورة المؤمنون

* «ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين» سورة المدثر

2.2 أحاديث نبوية

من الأحاديث النبوية التي صرف فيها الرسول عليه السلام مفهوم الإسلام والإيمان من مفهوم يقتصر على العقيدة والعبادة إلى مفهوم واسع يشمل القيم الأخلاقية والإنسانية والمعاملات، أختار:

* المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه»⁴

* «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»⁵

* «إن رجلا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»⁶

* «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»⁷

* «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم»⁸

3- راوي الحديث

جاء في الإصابة⁹: «هو عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن خفاف السلمي، كذا ساق نسبه ابن سعد في الطبقات وتبعه ابن عساكر» قيل: إنه اعتزل عبادة الأوثان قديما قبل إسلامه، ورجع إلى

³ أخرجه البخاري وأبو داود عن أبي هريرة

⁴ أخرجه الإمام أحمد والبخاري عن أنس بن مالك/الكنز ص 603

⁵ أخرجه أبو داود والبيهقي عن ابن عمر/الكنز ص 607

⁶ أخرجه الإمام البيهقي عن عبد الله بن عمرو، مصابيح السنة ج 3 ص 266

⁷ أخرجه الحاكم عن أبي هريرة

⁸ أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة

⁹ الإمام أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية بيروت، 1995 ط 1، جزء الرابع، ص 545

بلاده إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح. وقد ذكره أبو سعيد الأعرابي في أهل الصفة¹⁰. وأخرج أبو يعلى من طريق ابن عتبة قوله: «لقد رأيتني وإني لرابع الإسلام، وفي رواية لربع الإسلام»¹¹ من مناقبه: ورد في الحلية¹² عن عمران بن الحارث عن مولى لكعب قال: انطلقنا مع عمرة بن عتبة والمقداد بن الأسود وشافع ابن حبيب الهذلي، فخرج عمرو بن عتبة يوما للرعية فانطلقت نصف النهار- يعني لأزاه- فإذا سحابة قد أظلمت ما فيها عنه فضل فأيقظته فقال: إن هذا شيء أتينا به، لأن علمت أنك أخبرت به لا يكون بيني وبينك خير، فو الله ما أخبرت به حتى مات رحمه الله. قال الحاكم أبو أحمد¹³ كان عمرو بن عتبة ممن سكن الشام، ومات بجمص في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عن جميع الصحابة ورحمهم.

4- شرح المفردات والعبارات

*من تبعك عن هذا الأمر: المراد من اتبعك؛ لأن تبع واتبع تفيدان معنى متقاربا. فتبع تعني¹⁴ سار في الأثر أو تلاه، في حين نجد اتبع تفيد سار وراء الشيء وحذا حذوه. وفي بعض الروايات جاء: من معك على هذا الأمر؟

-عن: تفيد على، وقد ورد الحديث في رواية أخرى ب: على هذا الأمر.

-الأمر: يفيد الدين والإسلام. وجاء في الحديث¹⁵: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة».

*حر وعبد: ذهب أغلب المحدثين إلى أن المقصود بهذا: أبو بكر الصديق الذي كان حرا وكان أول من اتبع النبي على الإسلام، وبلال بن رباح الذي كان لا يزال في الرق أول الإسلام. وهذا يؤيد قول عمرو بن عتبة، كنت رابعا في الإسلام. وأخرج الطبراني وأبو نعيم¹⁶ قول عمرو بن عتبة: أتيت رسول الله وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من معك على هذا الأمر قال أبو بكر وبلال فأسلمت عند ذلك * السماحة: جاء في المعجم الوسيط¹⁷: السماح: التسامح والتساهل، السماحة: الجود والكرم، السماحة: السهولة.

*أهريق دمه: الفعل هرق، أصله فارسي وعُرب. أهريق دمه: كناية عن الجرح والقتل والاستشهاد. والهاء بدل عن همزة محذوفة للاستثقال. وجاء الفعل أهريقوا في بعض الأحاديث النبوية يفيد صب الماء بكثرة أو العقيقة والأضحية.

¹⁰الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1997، الجزء الثاني، ص 19

¹¹الإصابة ص 546

¹²الحلية ج 2 ص 20

¹³الإصابة ج 4 ص 547

¹⁴ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، دار الكتب العلمية، طهران ال جزء 1 ص 81

¹⁵أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن عن معاذ بن جبل

¹⁶الإصابة ج 4 ص 546

¹⁷المعجم الوسيط، ج 1 ص 449

«إن مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى»¹⁸

«دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»¹⁹

*عقر جواده: العقر الجرح والحز، والأثر في قوائم الفرس والإبل²⁰

والعقر النحر والذبح «فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر» سورة القمر. والمقصود من جرح وقتل فرسه في الجهاد.

5- في ظلال الحديث

هذا الحديث العظيم غني بالمعاني والدلالات. إنه ينقل إلينا بتفصيل دقيق حالة هذا الصحابي الحديث العهد بالإسلام، الذي جاء يستفسر عن الإسلام والإيمان والهجرة والجهاد. ورسول الله ﷺ يجيبه ويعلمنا معه دون كلل ولا تأفف ولا تكبر ولا إعراض. والملفت للانتباه أن رسول الله ﷺ أجابه عن حقيقة وجوه الإسلام والإيمان والهجرة والجهاد. أجابه بما يغرس فيه القيم والأخلاق السامية التي جاء الإسلام بها. هذا الحديث تجاوز الأمور التعبدية والعقدية التي يعود نفعها على الفرد فقط إلى القيم الإنسانية والأخلاقية التي يعم نفعها العباد جميعاً مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله"²¹

ولعل هذا الصحابي سأل رسول الله ﷺ مرة قبلها علمه فيها توقيت الصلاة وفضل الوضوء، وذلك بعد رجوعه لرسول الله ﷺ، فأخرج له الإمام مسلم قوله: لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَدِمَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قَبْدَ رُمْحٍ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ،²² حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ،²³ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ؛ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَالوضوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَبِذُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيشِمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا

¹⁸ أخرجه البخاري عن سلمان بن عامر، الجزء السابع، ص 109

¹⁹ مصابيح السنة، ج 1 كتاب الطهارة، ص 230

²⁰ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 1991، 1، الجزء 2، ص 132

²¹ أخرجه البزار والطبراني وأبو يعلى عن أنس بن مالك

رَجُلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ إِلَّا انصَرَفَ مِنْ خُطْبَتَيْهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، انْظُرْ مَا تَقُولُ، فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟! فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ- مَا حَدَّثْتُ أَبَدًا بِهِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

إن رسول الله ﷺ لفت انتباه هذا الصحابي إلى حقيقة كل من الإسلام والإيمان، فلم يذكر له أركان الإسلام والإيمان كما وردت في أحاديث كثيرة أشهرها حديث جبريل. ولكن قرن له بين الإسلام والإيمان والقيم الأخلاقية والإنسانية التي بينهما:

1.5- طيب الكلام.

أمرنا الله تعالى بالقول الحسن ليس للمؤمنين فحسب، بل للناس أجمعين «وقولوا للناس حسنا» سورة البقرة. ونبهنا الله تعالى إلى أن الإنسان مراقب ومحاسب فيما يقول: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» سورة ق.

وأخبر الرسول عن جزاء طيب الكلام قائلا: إن في الجنة غُرْفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبو موسى: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائما والناس نيام²².

ويشمل طيب الكلام: الرفق بالمخاطب والنصح له والتبشير بدل التنفير، وحسن الإقبال على الناس وعدم التأفف منهم، وعدم نهرهم. كما يشمل طيب الكلام ذكر الله، فالكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله التي قال فيها الله تعالى: «ألم تر كيف ضرب الله كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» سورة ابراهيم. وأوصى الله موسى وهارون بلين الكلام لفرعون الذي كان يصرح: أنا ربكم الأعلى، قائلا لهما: «فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى» سورة طه. ويشمل طيب الكلام أيضا الدعوة إلى الله تعالى وإلى الإسلام وإلى تجديد التوبة وامتثال الأوامر وإلى القيم والأخلاق السامية الرفيعة، ولكن بالتي هي أحسن فقال تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» سورة النحل. ومن عجز عن طيب الكلام فليصمت كما جاء في الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»²³ ومن طيب الكلام الذي قل في زماننا قول الحق ونصرة المظلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، امتثالا لقول الله تعالى «وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور» سورة لقمان.

²² أخرجه الإمام أحمد

²³ أخرجه البخاري عن اسامة بن شريك

2.5- إطعام الطعام

من القيم الراقية التي دعا إليها الإسلام وأقر العرب عليها: إطعام الطعام. بل إن هذه القيمة والخصلة من الخصال التي نادى بها الإسلام قبل الشعائر التعبدية. روى عبد الله بن سلام أن أول ما سمع من في رسول الله ﷺ «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام». ولأهمية هذه القيمة الخلقية والاجتماعية جعل الشارع إطعام الطعام من العبادات والصدقات، كزكاة الفطر. وقد صح²⁴ «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين» وقال الرسول ﷺ يرغب في الصدقة وإطعام الطعام «اتقوا النار ولو بشق تمر، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»²⁶. كما جعل الإسلام إطعام الطعام من الكفارات والفدية. ففدية الصيام الإطعام «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين فمن تطوع خيراً فهو خير له» سورة البقرة. وفدية الحج: «فدية من صيام أو صدقة أو نسك» سورة البقرة. وفدية التمتع والقران نسك يطعم به الفقراء والمساكين. كما جعل الإسلام من كفارة اليمين إطعام الطعام «فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم» سورة المائدة. وجعل الإسلام الإطعام من كفارة الصيام: إطعام ستين مسكيناً للحديث «جاء رجل النبي ﷺ فقال أفطرت يوماً في رمضان متعمداً فقال ﷺ أعتق رقبة أو صم شهرين متتابعين أو أطعم ستين مسكيناً»²⁷. ونجد الإطعام يدخل في كفارة الظهار والإيلاء «فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً» سورة المجادلة

وإطعام الطعام من شعب الإيمان، أوردها الإمام المجدد عبد السلام ياسين رحمه الله في شعب الإيمان: خصلة البذل (الشعبة التاسعة والثلاثون)، ويراها سنة نبوية يجب أن تعود وتنتشر بين المؤمنين. يقول رحمه الله²⁸: «يبقى إطعام الطعام على صعيد الحياة اليومية بين المؤمنين سنة نبوية. ونستبدل بالموائد العادية في حياة الغافلين والراغبين، الحافلة بالأطياب من كسب يعلمه الله، سُفرة الأخوة على القناعة والاكتفاء. فإن الاشتراك في الطعام، وبالأداب النبوية، مما يؤلف الله به القلوب»

3.5- الصبر

الصبر²⁹: «حبس النفس عن الجزع والتسخط. وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر عن امتحان الله، فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه.»

²⁴ أخرجه الترمذي والبيهقي والحاكم عن عبد الله بن سلام، الكنز الثمين، ص 214

²⁵ متفق عليه، رواه عبد الله بن عمر، مصابيح السنة، ج 2 ص 25

²⁶ أخرجه الشيخان والإمام أحمد عن عدي بن حاتم، الكنز الثمين ص 9

²⁷ الإمام مالك ابن أنس، الموطأ، عن أبي هريرة

²⁸ عبد السلام ياسين رحمه الله، المنهاج النبوي، الطبعة الثانية، ص 209

²⁹ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991، ص 353 ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين

والصبر من القيم الخلقية والإيمانية والاجتماعية والتربوية. يكفي أصحاب هذه القيمة قول الله تعالى في حقهم: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» سورة الزمر. وشهد الله تعالى للمرسلين بهذه القيمة «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل» سورة الأحقاف. والصبر عطاء من الله وتدريب وتربية وكسب. جاء في الحديث: «من استعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله. وما أعطي أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر»³⁰. والصبر من القيم والمواصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها المعلمون والآباء والدعاة، وإلا فشلت التربية وغاب النموذج والقدوة الحسنة. وأفضل من الصبر الصبر الجميل الذي لا شكوى معه. بالرغم من أن الشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر. إنما يناقض الصبر شكوى الله تعالى إلى الخلق. والله در من قال³¹

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

4.5-السماحة:

السماحة والمسامحة والتساهل من القيم الأساسية في التعايش والتساكن والمعاملة في المجتمع. وهي من الأخلاق التي تجود المعاملة وتطيل العشرة بين الناس، وتجلب البركة والتيسير. جاء في الحديث³²: «إذا أراد الله بقوم نماء رزقهم السماحة والعفاف، وإذا أراد بقوم اقتطاعاً فتح عليهم باب خيانة». وأخرج البخاري³³ «سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: الصبر والسماحة» وقد دعا الرسول ﷺ بالبركة على المتساهل المتسامح فقال³⁴: «بارك الله على سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء» وتشمل السماحة اليسر والتيسير وقبول أضرار الناس والصفح عن هفواتهم والعفو عن زلاتهم، لما لذلك من فضل وأجر عند الله تعالى³⁵ «ينادي مناد يوم القيامة لا يقوم إلا أحد له عند الله يد، فتقول الخلائق: سبحانك بل لك اليد، فتقول ذلك مراراً، فيقول بلى من عفا في الدنيا بعد قدرة» وفي حديث آخر³⁶ «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، على كل هين سهل لين قريب» ومن مواصفات المؤمن التساهل والتسامح والتطاول والتغافل عن الهفوات. إن المؤمن الحقيقي سمح مألوف، قال ﷺ³⁷: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»

³⁰أخرجه الإمام البخاري

³¹محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب

³²أخرجه الطبراني

³³أخرجه البخاري في كتاب الأدب عن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده

³⁴أخرجه الطوسي

³⁵أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة

³⁶أخرجه أبو يعلى في مسنده عن جابر بن عبد الله

³⁷أخرجه البخاري

5.5- الكف عن أذى المسلمين باليد واللسان:

كف الأذى عن الناس من شعب الإيمان، ومن علامة الإسلام الحقيقي³⁸ «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان». وإذا كان إمطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان فكف إذاية المسلمين من باب أولى. وفي هذا الحديث يجعل الرسول ﷺ حقيقة الإسلام كف الأذى عن المسلمين سواء باليد أو اللسان. وخلد الرسول ﷺ هذا الأمر منذ خطبة حجة الوداع³⁹: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم... فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض». بل إن الرسول كنى من يؤذي الناس بلسان أو يد بالمفلس⁴⁰ «أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار». وإذا كان إيذاء هرة سبب لامرأة دخول النار فكيف بمن يؤذي الناس، بل المسلمين، في أموالهم وأعراضهم ودمائهم⁴¹ «دخلت امرأة النار في هرة فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»

ما أحوج مجتمعنا لتمثل هذا الخلق النبيل وخصوصاً بعد أن دب الشقاق والتفاق بين المسلمين، وأخذت الأسر تتفكك والروابط لأتفه الأسباب. كما أن معظم الأذى التي يتعرض لها المسلمون والحركات التغييرية في معظم البلدان؛ هو مسلط من بني جلدتنا وقومنا، فصدق فينا⁴²:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

6.5- حسن الخلق

إن هذه القيمة تعد بحق معيار المروءة والتدين الصحيح وسلامة الصدر. ركز عليها الرسول ﷺ في تربيته للصحابة وللأمة بالطبع، وقد جعلها ﷺ ميزانا للقرب منه يوم القيامة⁴³ «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً، وخيركم خيركم لأهله». كما جعل حسن الخلق من كمال الإيمان⁴⁴ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». وإن حسن الخلق لثقل في الموازين عند الله تعالى يساوي أو يفوق كثيراً من العبادات⁴⁵ «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»

³⁸ متفق عليه، عن أبي هريرة

³⁹ أخرجه الإمام مسلم عن جابر عبد الله

⁴⁰ أخرجه الإمام مسلم والترمذي عن أبي هريرة

⁴¹ أخرجه البخاري عن أبي هريرة

⁴² من معلقة الشاعر: طرفه بن العبد

⁴³ أخرجه الإمام الرضا

⁴⁴ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة: الكنز الثمين ص 80

⁴⁵ أخرجه البيهقي في كتاب الآداب عن عائشة، دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 1976، ص 137

إن التحلي بهذه القيمة شرط أساس للقضاء على الكراهة والحقد والأنانية في المجتمع. وما أوجبنا أن نربي عليها أنفسنا ونعلمها الأبناء والأهل والتلاميذ بالقدوة والمثال والنموذج. ورحم الله القائل⁴⁶:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم أخلاقهم ذهبوا.

ولأهمية هذه القيمة الخلقية الرفيعة جعلها الرسول ﷺ في مرتبة الصوم والصلاة فقال: «إن أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة»⁴⁷

7.5- هجر المعاصي

للهجر معاني عدة منها: الترك والإعراض والاعتزال⁴⁸. أما مقتضى الهجر فهو: هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها⁴⁹. وهذا لب التعريف النبوي للهجرة: والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه⁵⁰. وهجرة الذنوب والمعاصي وما كره الله لنا هي جهاد النفس وضرورة لقيام مجتمع منسجم مع التعاليم والتوجيهات النبوية والقرآنية. وأغلب ما نهى عنه الشرع يتعلق بعد الشرك بالأخلاق الذميمة وسفاسف الأمور: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعوا وهات، ووأد البنات. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.⁵¹ ومتى جاهر الناس بالمعاصي والذنوب فقد استحقوا العقاب من الله تعالى. هجر الذنوب والمعاصي هي الهجرة الدائمة المتواصلة إلى الله ورسوله. هذه الهجرة واجبة على كل مسلم ومسلمة، حيث أن كل واحد مأمور بها في قول الله تعالى: "والرجز فاهجر" سورة المدثر. هجرة المعاصي وما نهى الله عنه برهان على حقيقة الانتماء لهذا الدين وقيمه وأخلاقه السامية.

8.5- الجهاد بالنفس والمال

الجهاد بالنفس والمال من أفضل القربات، ومن أسعى القيم والأخلاق، ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان والإسلام. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل الجهاد كثيرة؛ نكتفي ببعضها - قال رسول الله ﷺ⁵²: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها.

- قال رسول الله ﷺ⁵³ مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله -كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة. قال

⁴⁶أحمد شوقي

⁴⁷أخرجه البزار وأبو يعلى، عن أنس

⁴⁸المعجم الوسيط مادة هجر ص 982

⁴⁹المفردات في غريب القرآن مادة هجر ص 537

⁵⁰حديث سابق

⁵¹أخرجه البخاري عن المغيرة بن شعبة

⁵²الشيخان عن سهل بن سعد

⁵³أخرجه مسلم عن أبي هريرة

رسول الله ﷺ⁵⁴ ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون الدم والريح ريح المسك

- إن النبي ﷺ قال⁵⁵: جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم. - إن النبي ﷺ⁵⁶ سئل أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور، - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول⁵⁷: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم».

وفي هذا الحديث أشار رسول الله إلى أن أفضل الجهاد جهاد بالنفس، عبر عنه بأهريق دمه، أي: جرح أو فقد أحد أعضائه، أو استشهد في سبيل الله. ثم عقر جواده كناية عن الجهاد بالمال والممتلكات والغالي والرخيص. وهذا إشارة إلى قول الله تعالى: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" سورة آل عمران. وقول الله تعالى في سورة التوبة: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة." وجعل الرسول ﷺ قول الحق وتقديم النصح للسلطين والحكام الجبارة أفضل الجهاد، من ذلك:

- «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»⁵⁸

- «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»⁵⁹.

وللجهاد أبواب عدة، عدها الإمام المجدد رحمه الله أحد عشر باباً⁶⁰. ومن أنواع الجهاد التي غفل عنها الناس في زماننا جهاد الدعوة، فهو يشمل أغلب هذه الأبواب. وهذا مصداق قول الله تعالى: "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين" سورة الشورى.

6-دروس وعبر تربوية من هذا الحديث

إن هذا الحديث النبوي الشريف غني بالدروس والعبر التي نحن في أمس الحاجة إلى تدبرها، وتمثلها وترجمتها سلوكاً ومعاملات وقيماً وأخلاقاً. وإن الأحاديث النبوية عموماً تشكل خزاناً ومنبعاً من الدروس والمغازي والعبر التربوية للآباء والأولياء والمعلمين في تربية وتنشئة الأجيال على القيم والأخلاق السامية. وأقسم الدروس التربوية في هذا الحديث إلى قسمين:

1.6-دروس وعبر عامة

*إفساح المجال واسعاً للسائل والمقبل على الدعوة، فكان أول سؤال طرحه هذا الصحابي هو: من تبعك على هذا الأمر؟ وهذا سؤال حرج، خصوصاً إذا علمنا أنها بداية الدعوة وعدد المستجيبين لها أقل من

⁵⁴الشيخان عن أبي هريرة

⁵⁵أحمد والنسائي والحاكم عن أنس

⁵⁶الشيخان عن أبي هريرة

⁵⁷أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عمر

⁵⁸الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة

⁵⁹أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر بن عبد الله

⁶⁰المنهاج النبوي ص 381

القليل، ولكن الرسول أجاب بكل وضوح وصراحة ودون لف ولا دواران ودون تقديم مبررات وما أكثرها في ذلك الحين.

*الدقة والوضوح في الإجابة عندما قال الرسول: حر وعبد، فالجواب غني بالمعاني منها: الدعوة مفتوحة للجميع الأحرار والعبيد، العبرة ليست بالكم ولا بالعدد وإنما بقوة الإيمان وبالهمة الطموحة والإرادة الصادقة، والاستعداد والنوع. بل إن الكثرة مذمومة وقد قال الله تعالى: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين." سورة البقرة. لذا على الدعاة والمربين والمصلحين الانتباه إلى أن الكثرة ليست دوما حاسمة في النصر والتغيير والغلبة.

*التوجيه إلى تحري أفضل الأوقات، وهذا عندما سأل عمرو بن عبسة عن أي الساعات أفضل فأجاب الرسول: جوف الليل الآخر. وهو وقت مبارك فاضل. وقت الاستجابة، وقت نزول رب العزة إلى السماء الدنيا⁶¹: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» هو الوقت المعني في قول يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: «سوف أستغفر لكم ربي» سورة يوسف. وكان الرسول ﷺ يرغب أصحابه في اغتنام الأماكن والأوقات الفاضلة وقد قال رسول الله ﷺ⁶² «من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق»

2.6 - دروس وعبر مرتبطة بالقيم والأخلاق

*لفت انتباه السائل إلى جوهر الشيء ولبه

كثير من الناس يقفون على الشكل أو ما يعرف بالظاهر أو الحرف، ولكن الرسول علمنا من خلال هذا الصحابي الاهتمام بالجوهر واللب أولا. فلم يجبه بالمفهوم الحرفي، وإنما أجابه لمهتم بحقيقة الإسلام وجوهر الإيمان. وكل عبادة إلا ولها صورة وحقيقة، وكثير من الناس يقفون عند الصورة والشكل، فلا يتعدون الأمور العقدية والتعبدية التي نفعها قاصر على صاحبها. فحقيقة الصلاة مثلا ليست حركات أو قياما وقعودا وإنما افتقار ودعاء وخضوع. إذن جوهر الإسلام والإيمان هو حسن المعاملة والصبر على أذى الناس وعدم إذايتهم، وحسن الخلق معهم، وإفشاء المحبة والسلام وإطعام الطعام.

*إعطاء الأهمية للقيم والأخلاق

معظم إجابات الرسول في هذا الحديث تعطي الأولوية للقيم الإيمانية والخلقية، وهذا ما يصلح للدعوة وما يحقق التآلف والمحبة والأمن والاستقرار في المجتمع. فالعبادة تنفع صاحبها في حين القيم الأخلاقية والإنسانية يعود نفعها على المجتمع برمته، وتجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا. وما انتشرت الدعوة في كثير من البلدان الآسيوية والإفريقية والأوروبية إلا بفضل القيم وحسن الخلق وحسن المعاملة

⁶¹ أخرجه الإمام مالك والترمذي عن أبي هريرة

⁶² أخرجه الإمام أحمد عن حكيم بن عمير

التي كان يتميز بها التجار والدعاة المسلمون. وما دب التفكك في المجتمعات الإسلامية الراهنة إلا لغياب هذه القيم الإيمانية والخلقية بين الناس أمام تدين شكلي شخصي.

*التوجيه إلى معالي الأمور

ربط الرسول السائل بربه عندما سأل عن أفضل الهجرة قائلا: أن تهجر ما كره ربك، وهذا المعنى للهجرة لا ينتهي، إنه أزلي مستمر. كأنه يخاطبنا أن ندخل جميعا في سلك المهاجرين الذين تركوا الضياع والأموال والأهل والأولاد وهاجروا إلى المدينة. المطلوب أن نهجر إلى الله كما قال الخليل عليه السلام: "إني مهاجر إلى ربي سميدين" سورة الشعراء. كما أن هذا دعوة صريحة للدعاة والمربين أن يربطوا الناس بربهم وليس بالأشخاص أو الأفكار والإيديولوجيات.

*السمو بالنفس الإنسانية إلى معالي الأمور

إن القيم والأخلاق الواردة في هذا الحديث الشريف هي بمثابة دعوة صريحة للنفس البشرية كي تتحرر من الشح والأنانية والنرجسية. فإطعام الطعام هو تفكير وتهمم بالآخرين وبذل. والصبر والسماحة وحسن الخلق وبذل المال والنفس في سبيل الآخرين، إنما هو ترق بالنفس البشرية وسمو إلى معالي الأمور، وحب الخير والخلاص للناس، وهذا هو حقيقة الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»⁶³

7-خاتمة

هذا الحديث الشريف دعوة صريحة للمسلمين عامة، وللأباء ورجال التعليم ونسائه والدعاة خاصة، إلى التركيز في التربية والتنشئة على القيم والأخلاق. وإن العبادة وحدها مع ضياع القيم وغياب الأخلاق لن تفيد صاحبها في شيء. وخير مثال على ذلك: المرأة التي كانت في عهد رسول الله ﷺ تصوم النهار وتقوم الليل، لكنها كانت تؤذي جيرانها، فقال عنها ﷺ هي في النار.⁶⁴

⁶³ أخرجه والترمذي والبيهقي عن أنس بن مالك

⁶⁴ الحديث أخرجه البخاري في الأذنب المفرد عن أبي هريرة